

كتاب الشهر

نقيب الممثلين يتقضى الظاهرة الفنية الأشهر في لبنان صلاح تيزاني... أيقونة الكوميديا الشعبية

بلغ صلاح تيزاني التسعين من عمره هذا العام. مع ذلك، كل الوسط الفني يعرف انه ما زال شابا، يروح ويجيء، يهتم برفاق دربه. تارة يخلص معاملة لاحدهم، وطورا يقبع بجانب سرير احدهم في المستشفى. اعتاد "ابوسليم" ان يهتم بفرقته، هو الذي ادارها طوال نصف قرن، ليستحق لقبه سيدا من اسيا المسرح الكوميدي بلا منازع. نقيب الممثلين اللبنانيين جان قسيس يوجه تحية اليه من خلال كتاب جديد يحمل عنوان "صلاح تيزاني (ابوسليم) ديلازتيه لبنان"

بدوره ينتمي الى "المسرح الفقير"، حتى حين انتقل الى التلفزيون، لم يعتمد الديكورات الفخمة في حلقات برنامجه. هذا الى كونه لم يتلق اي تشنة مسرحية او فنية. ورغم ذلك، استطاع ان يؤسس لنهج فني فريد ومميز، قائم على الارتجال الذي يعتبر من ثوابت الكوميديا ديلازتيه وخصائصها". تيزاني الذي اشتغل في الموبيليا والنجارة، لم يتسلح سوى بالموهبة والشغف، وكان ذلك اكثر من كاف. بداية، يأخذنا جان قسيس الى ظروف نشأت الكوميديا ديلازتيه في ايطاليا بدءا من القرن السادس عشر. واذا "كان للارتجال مساحة كبيرة واسعة فيها، الا انها كانت تقوم على نص مكتوب ذي موضوع محدد تتسج حوله المواقف والحوارات والتعابير". جمعت هذه الكوميديا بين المسرح الشعبي ومسرح النخبة، وتنوع جمهورها ما بين عامة وخاصة، فكانت تقدم عروضها تارة في القصور امام الملوك، وطورا في الشوارع والازقة والساحات. وكان افراد الفرقة الذين هم ممثلون هواة موهوبين بالفطرة، مولجين بكتابة نصوص اعمالهم التي احتلتها شخصيات تعد "نماذج كاريكاتورية من صلب المجتمع وذاكرته، ويغلب عليها طابع الاحتيال والخفة والبهلوانية والتهرج، وتنتمي اصولها إلى معظم المناطق الإيطالية". بسرعة البرق، ستمتد هذه الكوميديا لتصل الى فرنسا بدءا من العام 1548 لتنتشر في كامل أوروبا لاحقا، مرسية تقليدا شعبيا عريقا في فنون الفرقة، وخاصة لتطورات اسلوبية متنوعة.

اذا هذه الكوميديا هي ابنة الشارع والاحياء الشعبية والساحات العامة والاسواق حيث يحتشد الناس الباحثون عن الترفيه، وكان الممثل الذي يحترف هذه الكوميديا، يحفظ الكثير من الاشعار والاقوال المأثورة والمفردات والتعابير والامثال الشعبية لاستخدامها في العروض... هذا التعريف للكوميديا ديلازتيه ينطبق بالكامل

على مسرح ابوسليم او صلاح تيزاني الذي "اسس مع مجموعة من الهواة (غالبيةهم نجارون) فرقة مسرحية سحرت اعمالها اللبنانيين في الوطن كما في بلاد الاغتراب، حتى متى اضاءت شاشة التلفزيون اللبنانية شباكها مطلع الستينات، حمل ابوسليم فرقته ناقلا مسرحه كما هو، رغم اختلاف التقنيات التصويرية في التلفزيون، وغدا في اسرع من البرق نجم الكوميديا الاول بلا منازع".

لم يكن تيزاني ممثلا فحسب، بل كان يكتب ويخرج ويمثل ويدير فرقته ويهتم بافرادها على مدى اكثر من نصف قرن. في احد احياء القبة في طرابلس، ولد صلاح تيزاني لأب يعمل في تجارة الخضر بعد تقاعده من الجيش العثماني. في مدرسته الاولى، مدرسة "الفاروق"، تفتحت مواهبه الفنية ولما يتجاوز بعد الخامسة عشر من عمره. صحيح انه كان ذكيا، الا انه كان ايضا كسولا يصرف طاقاته على المشاغبة والشقاوة ومحاولة اضحاك معلميه ورفاقه. بعدما قدم لوحات استعراضية في حفلات نهاية العام، انتقل إلى مدرسة "الطليان" حيث لعب القدر لعبته. اذ كان استاذة الراحل نزار ميقاتي الذي سيصبح لاحقا احد كبار مخرجي المسرح في لبنان. كانت هذه المدرسة تشجع المواهب الشابة تحت ادارة سنيور ليوني الإيطالي الذي كان يجلب اعمالا مسرحية من ارشيف المسرح الإيطالي و"الكوميديا ديلازتيه" ويزجها، ليقدمها طلابه من دون معرفة مصدرها. بعدها، انتقل تيزاني الى "المدرسة الاهلية" بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية واقفال المدرسة "الطليانية"، وانضم الى "كشافة النجادة" حيث قدم اعمالا مسرحية في المخيمات حازت حفاوة جماهيرية. على اثر وفاة والده عام 1946، اضطر تيزاني المراهق الى ان يترك الدراسة للعمل واعالة والدته واخوته. عمل اولا في الحياكة، قبل ان ينتقل الى نجارة الموبيليا ثم يفتح

ما الذي يجمع ابوسليم الطبل بـ"الكوميديا ديلازتيه"؟ صلاح تيزاني (1929) الذي يحتل مكانة راسخة في الذاكرة الجمعية للفن المشهدي اللبناني، ما الذي قد يربطه بفن ايطالي عريق يعود عمره الى اكثر من خمسمئة عام ونيف، وهو الذي خال في البدء ان ديلازتيه هو اسم رجل على ما يقول في احدي المقابلات معه؟ يومها، جاءه المخرج المسرحي المعروف الراحل جلال خوري قائلا له: "انت وفرقتك يا ابوسليم كوميديا ديلازتيه لبنان". انطلاقا من هذه العبارة، يأتي كتاب "صلاح تيزاني (ابوسليم) ديلازتيه لبنان" ("دار المؤلف" - 2019) ليفنّد بشكل علمي وفني نقاط التلاقي والتشابه بين فنين شعبيين ولدا من رحم الحواري والازقة والساحات والاسواق، لينقلا نبض الناس بصدق وعفوية وظرافة.

مؤلف الكتاب ليس غريبا عن هذا العالم، فهو جان قسيس، نقيب الممثلين اللبنانيين. عبر هذا العمل يحاول قسيس التوقف عند ظاهرة ابوسليم الكوميديا ومدّها جسورا وخيوطا وصلات مع الكوميديا ديلازتيه، اكان لجهة الكتابة والاسلوب والمشهدية والسينوغرافيا والاداء. وعليه، يمكن القول ان قسيس يقسم كتابه الى قسمين: الاول مخصص لـ"الكوميديا ديلازتيه" ونشأتها وخصوصيتها وميزاتها، والثاني مخصص لصلاح تيزاني منذ ولادته في عاصمة الشمال اللبناني، وصولا الى ترّبعه على عرش الكوميديا الشعبية متسلحا بالفطرة والعفوية ليس الا.

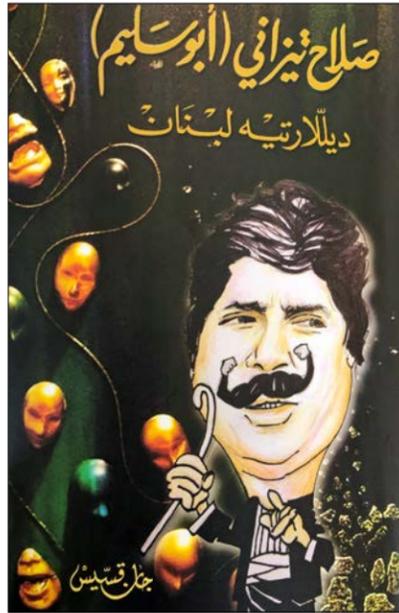
يقول جان قسيس في المقدمة: "حتى البساطة التي اتسم بها فنه، وحقق نجومته من خلالها، هي في ذاتها ظاهرة، تماما على غرار الكوميديا ديلازتيه التي تنتمي الى خانة "المسرح الفقير" البعيد تماما عن بهرجات السينوغرافية التي غالبا ما تعتمد انواع المسرح الاخرى. ابوسليم

مع عمله الخاص. خلال عمله في النجارة، كان يدرّب العمال على التمثيل الذي "مما معه بالفطرة" على حدّ تعبيره.

يتوقف قسيس عند نقطة مهمة في مسرح تيزاني. فهو "حمل من المجتمع الطرابلسي ومآذجه البشرية واجوائه الطقوسية وعاداته وتقاليده مخزوننا كبيرا. كما اكتسب من القرى والبلدات التي جال عليها باعماله الفنية الكثير من المشاهدات والمسائل التي افادت تجاربه تباعا. فاللهجة كما اعتمدها يوم دخل عالم التلفزيون لم تكن طرابلسية، بل عكارية جردية قلما يفهمها حتى اهل طرابلس والشمال انفسهم. ذلك لأنه وجد فيها لهجة اقرب الى الكوميديا من لهجته ولهجة افراد فرقته، وكلهم من طرابلس". في طرابلس ايضا، كان هناك مناخ فني غدى موهبة تيزاني. اذ كانت عاصمة الشمال ذات طقوس خاصة. هناك الحفلات التي يقدمها الفنانون في مقاه شعبية، وكان للمونولوج حصة فيها مع رفيق الافبوني وعبد الله المدرس الذي كان له الفضل لاحقا على تيزاني.

كذلك، عرفت طرابلس "خيمة كراكوز" التي كانت تقدم مسرح خيال الظل، وكانت تحظى بإقبال كثيف، من الصغار والمراهقين، من بينهم تيزاني. وقد استقى الاخير الكثير من شخصيات فرقته من هذه الخيمة. اضع ان السينما دخلت طرابلس باكرا، فشاهد تيزاني الافلام الكوميديا على وجه الخصوص مثل افلام شارلي شابلن ولوريل وهاردي وكاستيللو وفرنانديل... كل هذا المخزون شكل وعيه وذاقته الفنية.

على مدى 15 عاما من العروض المسرحية التي انحصرت في طرابلس والجوار، جاء انشاء تلفزيون لبنان عام 1959 ليشكل النقلة النوعية في مسيرة صلاح تيزاني. هنا، سيصنع مجده مع "فرقة ابوسليم" بعدما كان يكتب نصوصه الخاصة منذ 1967 التي تشبه نصوص الكوميديا ديلازتيه. على هذه الشاشة، بنت اول حلقة كوميدية مباشرة على الهواء عام 1960 واحداث ضجة كبيرة، الى درجة ان الصحافي الراحل جورج ابراهيم الخوري كتب مقالة بعنوان "نجارون من طرابلس... نجوم تلفزيون في بيروت". على مدى نصف قرن، سيتحول ابوسليم (شخصيته التي جسدها طوال مسيرته الفنية) ظاهرة كوميدية اثرت في اجيال متلاحقة من اللبنانيين، وسرعان ما اخذته شهرته الى الأعراس رحباني، فشارك في مسرحيتهما "فخر



غلاف الكتاب.

الدين"، و"ناس من ورق"، وفي فيلميهما "سفر برلك" و"بنت الحارس"، إضافة الى كتابته اكثر من الفي نص تلفزيوني، و900 حلقة إذاعية، و17 مسرحية، و4 افلام مع "فرقة ابوسليم الطبل".

لكن ماذا عن شخصيات فرقة ابوسليم؟ ما هي خصوصيتها التي جعلت اللبنانيين، جيلا تلو جيل، يتسمرون لمشاهدة مقابلها وقفاتهما ومواقفها المضحكة؟

يقول جان قسيس ان ما من شخصية عادية في فرقة ابوسليم الطبل. فالخير الذي جسده تيزاني بنفسه، كان يلقب بـ"شيخ قبضيات الضيعة". وهو الرجل الشهم والطيب وصاحب السطوة الذي يحل النزاعات بين المتخاصمين. تميزت هذه الشخصية بالشروال والقميص المزركش والسترة المطرزة والشاربين المعقوفين. اما شخصية اسعد (عبد الله حمصي، صهر تيزاني)، فقد كان يرتدي الشروال والطربوش المغربي وهو بسيط وانفعالي وذو ذاكرة ضعيفة. اما "فهمان" (الراحل محمود مبسوط) فكان المحور الكوميدي الاول، وهو الحروبوق والذكي والخفيف الحركة وصاحب اللسان السليط، هو ابن ازقة طرابلس ومحالها الشعبية وريبب تجارها واسواقها، وكان يضع القبعات المضحكة. اخيرا يأتي "شكري" (صلاح صبح) "النوتي" البخيل الذي يرتدي بذلة

مصنوعة من قطع قماش متفاوتة الاحجام والالوان مخاطة إلى بعضها بعضا مع ربطة عنق مبهدة وطربوش تركي. يوضح قسيس أن هذه الشخصية هي الاقرب الى شخصيات الكوميديا ديلازتيه، خصوصا بشبابها التي تشبه ثياب "ارلاكينو" التي تنتمي الى الكوميديا ديلازتيه. اضع شخصيات اخرى مثل "ابوالشباب" (عصام كشتان) ودرباس (احمد دنش) و"امين" (غازي شرمند) و"كوستي" (احمد الضابط) و"جميل" (زكريا عرداتي)...

الملفت ان هؤلاء الممثلين كانوا هواة، لكنهم كانوا مسكونين بالشغف، والاهم بحسب قسيس انهم "ابناء بيئة حاضنة لكل اشكال التعبير العفوي والانفعالات المتنوعة والنماذج البشرية (...). فكان يكفيهم ان يراقبوا من حولهم لتنتطح في وجدانهم وذاكرتهم ملايين الصور لكل الاشكال البشرية والانماط السلوكية وطرق التصرف والسير والجلوس والكلام (...). ويستحضرون من معينها ما يروي حاجتهم في لحظات العرض". كل الشخصيات التي تقمصوها هي نماذج تصادفها في السوق والحواري والشوارع والحياة اليومية، لكن تيزاني بعبقريته وعفويته وفطريته اخذها الى منحى كاريكاتوري كفيل بزراع الابتسامة على شفاه المشاهدين.

يخلص قسيس الى انه من خلال "الممارسة وتراكم التجربة والتفتح اكثر على مندرجات اللعبة المسرحية، اصبحت نصوصه تاليا تنتظم في هيكلية متناقسة تراعي وحدة الموضوع ومنطقيته وضبط الشخصيات ورصد ايقاعها، تاركا دائما في خضم نصه فسحة للتطريز المشهدي والارتجال حوارا وحركة". اذ كان تيزاني يكتب انطلاقا من مشاهداته اليومية. مثلا، في اول دخول الثلاثات الى لبنان ولم يكن الكل قادرا على اقتنائها، استنبت لوحة عن تهافت الجبران على جار يملك ثلاثة لإيداع طعامهم عنده، ما يتسبب في مواقف طريفة ومضحكة.

مرة كتب المخرج الاذاعي والمسرحي اللبناني محمد كريم مقالا بعنوان "ابوسليم الذي رفضته النخبة واحبه الشعب". اللافت ان شوشو ايضا تعرّض لهذه الفوقية النخبوية. الا ان مسرحه ومسرح صلاح تيزاني احتلا مكانتهما اللائقة في الوجدان الجمعي، لأنهما ببساطة عكسا روح شعب بفنهما الذي خلده الاجيال، وعصى على الزمن.